

الصمود ... من اجل إنجاز الحرية !!!



اعداد/ محمود عبدالله/ ابوكفاح

ظل الشعب الإرتري منذ القدم يتوق الى الحرية والإنعتاق ويسعى الى نيل استقلاله باذلاً الغالي والنفيس ولسان حاله يقول اما النصر أو الشهادة، فقد تعاقبت عليه القوي الاستعمارية القادمة من ماوراء البحار والمحيطات وحتى من دول الجوار وذلك بهدف السيطرة على مقدرات هذا الشعب ونهب ثرواته ودفعه في نهاية المطاف الى ترك أرضه ليصبح عرضة للتشرد واللجوء. ولكن على عكس ماتوقعه الاعداء فإن هذا الشعب لم يستسلم لسياسة الامر الواقع ولم يركع لمستعمريه بل خاض نضالاً لا هوادة فيه بكل الطرق والأساليب الممكنة، فقد إنتهج في بادئ الامر النضال السلمي للمطالبة بحقوقه ولكن عندما تجاهل المستعمر والمجتمع الدولي رغبته في الحرية والإنعتاق ولم يستمع لمطالبه المشروعة، انتفض معلناً الكفاح المسلح في العام 1961م لمجابهة العدو باللغة التي يفهمها، ليدخل بذلك النضال الإرتري مرحلة جديدة ومهمة بقيادة حفنة من الأبطال الذي نذروا انفسهم للدفاع عن إرتريا وإسترداد حقها المسلوب .

ان الشعب الإرتري الذي أدرك تماماً بأن السبيل الوحيد للحصول على حريته وإستقلاله هو مقارعة العدو وجهاً لوجه، بدأ أفراده يتقاطرون زرافاتاً ووحداناً الى الميدان ليلتحقوا بأولئك الأشاوس الذين قادوا تلك المرحلة بكل شجاعة ورباطة جأش رغم شح الإمكانيات والتعتيم الإعلامي الذي كان مفروضاً عليهم. لقد تعاطف هذا الشعب مع ثورته وقدم لها كل مايملك من غالي ونفيس وبفضل ذلك التدافع لدعمها والوقوف معها تقوت تلك الثورة التي كانت خلال الستينيات من القرن

الماضي تعاني قلة في العدة والعتاد، واستمر الحال على ذلك المنوال ليصل النضال الثوري ذروته في السبعينيات والثمانينيات ويتحقق الانتصار النهائي على العدو في مطلع التسعينيات.

لقد شرعت الثورة منذ البداية في استهداف معسكرات العدو الأثيوبي ومراكزه التي كانت منهكة في التنكيل بالشعب الإرتري وإحراق القرى ونهب الممتلكات، وبالفعل استطاعت بالتدرج ان تحرر العديد من القرى والبلدات والمدن من قبضة العدو ملقنة جنوده دروساً في الوطنية، فمنذ منتصف السبعينيات كثف المناضلين تحركاتهم في المرتفعات والمنخفضات وظلوا يوقعون خسائر فادحة بالعدو بحيث لاينام له جفن ولا تستقر له الاحوال كما كان يعتقد، ومنذ تلك الفترة بدأت الحرية التي كانت ضائعة تحت عباءة المستعمر البغيض تلوح في الأفق ليتأكد الشعب الأرتري ويصبح أكثر يقيناً بقدمها مهما طال الزمن او قصر.

ففي العام 1977م بدأت الثورة الإرترية معارك تحرير المدن حيث تمكنت خلالها من تحرير ومحاصرة العديد من هذه المدن، وزحف المناضلون الذين كانوا يرابطون في سهول بركة وجبال وهضاب واودية الساحل بعد تحرير معظم هذه المناطق الى المرتفعات الإرترية لإنجاز ماتبقي لهم من مهام غير مبالين بكل الصعاب التي كانت تواجههم آنذاك. ففي تلك الفترة كان ينشد الثوار في إحدى اغنياتهم بلغة التقرى قائلين:

"ساحل كولا تحررت... ترفت ديب إدينا"

إي بطرنا ديب ساحل... سنحيت سمهم تعدينا "

اي بمعنى "لقد تحرر الساحل بأكمله واصبح في ايدينا... لم نتوقف في الساحل بل عبرنا صوب سنحيت وسمهم"، وبالفعل فقد انطلق الثوار بقوة وعنفوان صوب مناطق عنسبا وشمال وجنوب البحر الاحمر والإقليم الجنوبي لتحرير ماتبقي من أرضهم السليبية، فإنتزعوا بصمودهم الاسطوري ورباطة جأشهم العديد من المدن والبلدات والقرى من قبضة العدو كما حاصروا العاصمة أسمرأ من كل جانب وكذا اجزاء واسعة من مصوع لينحصر العدو في مناطق محدودة من عموم البلاد، وحينها كان يترقب اللاجئون الإرتريون بالمجر انجاز الحرية بأسرع مايمكن ليعودوا الى ديارهم التي لجأوا منها وغيرها من دول العالم بسبب الاعمال الجائرة التي إرتكبها العدو ضدهم وكما ان من كان في داخل ارض الوطن كان يمني نفسه بزوال المستعمر وانحاره من عموم البلاد ليبدأ إنجاز مهمة البناء والتعمير بأسرع مايمكن

وبينما كان الثوار يستعدون لحسم المعركة مع العدو الذي خارت قواه وهبطت معنويات جنوده، فإذا بالدوق يغير من استراتيجيته وعلاقاته الدولية كالحرباء، ليجتهد تارة الى الشرق وتارة اخرى الى الغرب مستجدياً بتلك الدول، حيث وجد استجابة لامثيل لها من قبل الاتحاد السوفيتي الذي سخر كل امكانياته لدعم ذلك النظام الذي كان يتشدق بالماركسية بهدف كسب دول المعسكر الاشتراكي في تلك الآونة.

لقد عمل نظام الدوق المستحيلات للخروج من الحصار الذي فرضه الثوار على جيشه المتهالك، وما ان وصله الدعم السخي اللامحدود من السوفييت واعوانهم والمتمثل في العتاد الحربي والمستشاريين العسكريين، كشر عن انيابه مجدداً وحول إرتريا الى كتلة من اللهب جراء القصف العشوائي لأرضها وشعبها براً وبحراً وجواً مطلقاً شعار "نريد أرض إرتريا وليس شعبها" ليؤخر بذلك مجيئ الحرية التي كانت قاب قوسين أو ادنى من التحقق لعقود من الزمن.

وفي تلك الأثناء لم يستسلم الثوار ولم ييأسوا من عدم تكافؤ ميزان القوة بينهم وبين العدو بعد الدعم الذي تلقاه من اعوانه، بل تمسكوا بالأرض وبدأوا مقاومة القصف البري والجوي للعدو واعوانه بأسلحتهم المتواضعة، حيث لم ترهبهم طائرات ولا دبابات العدو ولا حتى جيوشه الجرارة التي إستنفرها من عموم اثيوبيا على امل القضاء على الثورة الإرترية مرة وإلى الأبد، فقد كان الثوار على علم بخطط العدو وبالتالي اتبعوا استراتيجية جديدة تتناسب مع الأوضاع التي طرأت في تلك الفترة اي تنفيذ الهجمات رغم ضراوة حملات العدو، على سبيل المثال لا الحصر نفذت قوات الجيش الشعبي هجمات شرسة على العدو في منطقة سالينا في ظل الاجواء المناخية القاسية لمنطقة سمهر مقدمة عدد من الشهداء البررة الذين رووا بدماءهم الطاهرة تلك البقعة العزيزة من ارض الوطن.

لقد خاض اولئك الأشاوس نضالات مريرة من اجل إسترداد عزة وشرف ارتريا وشعبها، مقدمين آلاف الشهداء والمعاقين ومتجاوزين كل المحن والصعاب من اجل ان ننعم نحن بطعم الحرية والإنعتاق، وبما ان الإستشهاد من اجل الوطن شرف لا يضاويه اي شرف آخر فإن مكانة هؤلاء الأبطال في المجتمع الا رتري ستظل سامقة الى الأبد وستذكرهم الاجيال جيلاً بعد آخر.

كيف لا يحدث ذلك وهم من اثبتوا للعالم أجمع بان قوة السلاح مهما كانت كبيرة ومتطورة لايمكنها ان تكسر إرادة الإنسان الذي ينشد الحرية والإنعتاق لاسيما اذا كانت عزيمته بعزيمة الشعب الإرتري الذي أكد بما لا يدع مجالاً للشك بانه قادر على مجابهة التحديات مهما تكالبت عليه قوى الشر من كل حذب وصوب.

لقد استطاع هذا الشعب ان ينتزع حريته من العدو وهو يخوض غمار الحروب غير آبه بحملات العدو المتكررة الواحدة تلو الاخرى ليختار الموت والاستشهاد طواعية من اجل الوطن لعلمه التام بان هذه النضالات سوف لن تذهب سدى وانما سيتمخض عنها حرية واستقلالاً يتمتع بخيراته الجميع.

لقد لاحت الحرية في الأفق خلال العام 1977م ولكنها لم تتحقق على ارض الواقع الا بعد 23 عاما بسبب التطورات التي ظهرت في الساحة بتلك المرحلة المهمة من تاريخ الشعب الإرتري , حيث ازدادت فيها المواجهة بين الثوار والعدو واتسعت بشكل كبير لتبلغ زروتها في الرابع والعشرين من مايو من العام 1991م المحطة الفاصلة التي هزم فيها العدو وفرت حينها بقايا جيشه من ارتريا مجردة خلفها أزيال الهزيمة والعار .

لقد مرت الثورة الإرترية في الفترة ما بين العام 1977 و 1978 بظروف قاهرة كادت ان تقضي على وجودها الا انها استطاعت بحنكة قيادتها وحكمتهم من تجاوز تلك الظروف والوقوف سداً منيعاً امام كل المحاولات اليائسة للقضاء عليها .

واصل الشعب الإرتري نضاله التحرري ضد المستعمر الاثيوبي بوتيرة عالية رغم كل التحديات والعوائق , لإيمانه العميق بأن الحرية لايمكنها ان تأتي بالتوسل للعدو او إستجداءه وانما تنتزع بالقوة على غرار مقولة ما أخذ بالقوة لايسترد إلا بالقوة , وعلى ضوء هذه القناعات الراسخة واصل الشعب نضاله الأسطوري ليدخل الصراع مرحلة أكثر ضراوة وشراسة .

ان سر انتصار الشعب الإرتري على العدو الاثيوبي هو وحدته التي لاينفصم عراها وتمتعه بقدرات هائلة على الصمود ومجابهة التحديات مهما كبرت وعظمت , حيث مكنه ذلك من مقارعة العدو ومنزلته غير آبه بتفوقه من حيث كثافة أفراد قواته ولاعتاده الحربي المتطور ولا حتى اعوانه من الشرق والغرب , فقد أدرك الشعب الإرتري منذ الوهلة الاولى بأن نضاله من اجل الحرية قد يطول ويأخذ عقوداً من الزمن , وان مسيرته الظافرة صوب شعاع النصر محفوفة بالمخاطر والصعاب ولهذا السبب كان أبناءه الثوار يواجهون العدو بكل شجاعة ورباطة جأش في كل ربوع إرتريا التي حولها المستعمر آنذاك الى كتلة من اللهب جراء سياسة الأرض المحروقة التي إتبعها ظناً منه بان ذلك سيرهب الثوار ويفت من عضدهم ويدفعهم للإستسلام أو إخلاء الساحة والتقهقر , ولكن على العكس من ذلك تماماً فقد ظل اولئك الأشاوس يتقبلون الإستشهاد في سبيل الوطن بكل إعتراز وفخر ويلقنون العدو دروساً في التضحية والفداء ويجبرون جنوده في الكثير من الأحيان على الفرار من

جبهات القتال والإحتماء بالمدن في حال سلامتهم من الأسر او الموت الزوؤام في وديان وجبال وسهول إرتريا الثورة.

كما اسلفنا في الجزء الأول فقد تمكنت الثورة الإرترية في العام 1977م من تحرير معظم المدن الإرترية بما في ذلك مدينة كرن ودقمرى لتصبح الحرية قاب قوسين او ادنى من الإنجاز, ولكن في العام 1978م بدأت الأوضاع تتبدل وتتغير بسبب التدخل السافر لقوى الشرق بقيادة الإتحاد السوفيتي السابق في الصراع الذي كان يدور بين الثوار الإرتريين وقوات الدرق, فعندما احس العدو الاثيوبي بأن قواته على وشك الهزيمة وان الثوار إقتربوا من العاصمة اسمرا وكادوا ان يحرروا كامل التراب الوطني, هروا صاغراً صوب دول المعسكر الإشتراكي طالباً دعمها ومساندتها, وبما انه كان يتشدق بالشعارات الماركسية فقد وجد استجابة فورية من هذه الدول التي دعمته بأحدث انواع الأسلحة وكذا بعدد لا بأس به من المستشاريين والخبراء العسكريين في مختلف المجالات العسكرية, وفور تلقيه للدعم اعلن الدرق حملته العسكرية الأولى ضد الثورة الإرترية مصحوبة بحملة دعائية محمومة استهدفت التأثير على معنويات المقاتلين .

لقد قام الدرق عقب الإنتصار الذي حققه في شرق اثيوبيا على ثوار الاوغادين, بدفع قرابة 120.000 من قواته التي جمعها من كل الجبهات صوب إرتريا ظناً منه بان ذلك قد يمكنه من تحقيق ذات الإنتصار على الثوار في إرتريا , وبالرغم من كثافة جنود العدو مقارنة بأعداد الثوار الإرتريين والفرق الكبير بينهما من حيث العتاد الحربي الا ان عزيمة الثوار لم تخر ولم تضعف بل كان الصمود ديدنهم في تلك المرحلة أيضاً,, صمود يضع في الإعتبار الاوضاع التي طرأت على الساحة,, فالعدو كان يهدف الى القضاء على الثورة تماماً من خلال تسيير حملته المشؤومة تلك على الثوار من كل الجبهات ,, الا ان الثوار كانوا مدركين لحجم المؤامرة, وعليه وحتى يحافظوا على مقدرات الثورة وضمان إستمراريتها شرعوا على الفور في إعلان الإنسحاب الإستراتيجي.

ان الامر الذي اجبر الثوار على الإنسحاب الإستراتيجي هو التدخل السوفيتي الظالم لصالح العدو الذي سير الحملة الاولى ضد الثوار , حيث ان انسحابهم لم يكن تعبيراً عن عجزهم او إستسلامهم بل كان نهجاً قوياً لضمان استمرار اية النضال التحرري وضرب العدو في المكان والزمان المناسبين مع نقل كل إمكانيات الثورة الى القواعد الخلفية في الساحل الذي اصبح فيما بعد مقبرة للاعداء ونقطة إنطلاق لتحرير كامل

التراب الوطني مجدداً لقد كانت خطة العدو في الحملة الأولى تتمثل في تقسيم جيشه الى فيالق عسكرية "قبر هایل"تنفذ هجماتها على النحو الآتي::

1/ - الفيلق 501 – ينطلق من منطقة غوندار الى مدينة ام حجر في إرتريا عبر مدينة الحمرا الاثيوبية. الفيلق502 ينطلق من شيرى متجهاً الى شامبقو وبارنتو عبر عدي دعرو.اما الفيلق 503 فقد تم تقسيمه الى ثلاث أقسام ليدخل إرتريا من ثلاث جهات مختلفة, القسم الاول عبر منطقة قرهو سرناي الى دقمرى,والقسم الثاني عبر مرب الى عدي خالا, أما القسم الثالث فقد تكون من جيش العدو الذي كان محاصراً في مدينة عدي قيج . الفيلق505 تكون من الجيش الذي كان محاصراً في مدينة مصوع ويعاني ظروفاً قاهرة من شدة الحصار. الفيلق506 تكون من الجيش الذي كان محاصراً في أسمرأ .- الفيلق 509 تكون من الجيش الذي كان محاصراً في مدينة بارنتو .

لقد كان الدرق ينوي من تكوين هذه الفيالق الهجوم على الثورة الإرترية من كل الجهات وإطفاء شعلة الحرية التي كانت تلوح في الأفق مرة وإلى الأبد ومن ثم تثبيت جذوره على أرض إرتريا وضمها بشكل قسري ونهائي الى أثيوبيا .
لقد بذل العدو الاثيوبي كل طاقته وإمكانياته المتاحة من اجل إبادة الثورة الإرترية ومحوها من الوجود ,حيث دفع بكل مالمديه من جنود وعتاد حربي براً وبحراً وجواً الى إرتريا,يما في ذلك طائرات الميج الحربية المتطورة والمدافع الثقيلة والدبابات وغيرها من أحدث ما انتجه مصانع الغتحد السوفيتي في تلك الفترة فضلاً عن الخبراء العسكريين الذين كانوا يشرفون على سير المعارك.
ان الحرية التي كانت قد شارفت على المجيء في العام 1977 م تراجع موعدها بسبب تلك الحملات المتتالية التي شنها الدرق على الثورة الإرترية بالتعاون مع اسياده من الشرق والغرب .

وبلغة الأرقام فقد بدأت الحملة الاولى للدرق على الثورة الإرترية في الفترة ما بين شهري يوليو واغسطس من العام 1978م,حيث حرك الدرق الفيالق التي كونها صوب إرتريا حسب الخطة التي وضعها لتأتي جيوشه مندفعة كالسيل الجارف على دفاعات الثوار وقواعدهم معتقداً بأن الكثرة في العدة والعتاد كفيلا بحسم المعركة ضد الثورة الإرترية,اما الثوار فقد كانوا على علم بأن جحافل العدو لايمكنها ان تكسر عزيمة المقاتل الإرتري مهما بلغت ذروتها من حيث العدد والتسليح ,ولمواجهة ذلك الموقف لجأوا الى ما عرف في تلك الفترة بالإنسحاب الاستراتيجي معتمدين على إرثهم العريق من الحكم والامثال التي قيلت في

مواجهة التحديات وتحويلها الى فرص , "وحيز مميابو إندي إي دلي قناديت لتقالي " أي بمعنى"قبل ان يدرك السيل مرساه الأخير يتخطف السيقان ويدفعها بقوة في مجراه", "من زلام ديب مذهي ومن وحيز ديب معدي" أي"فلنتقادي الأمطار بالذهاب الى ماوى يقينا منها, وكذا السيول عن طريق تخطيتها والسماح لها بالعبور " , وبهذه الاستراتيجية استطاع الثوار الذين كانوا على مشارف الحرية وابواب المدن من الصمود امام تلك الحملة رغم ضراوتها بإفصاح المجال لتلك الفيالق بالدخول الى قلب المعركة دون ان تتمكن من تحقيق اهدافها التي إنطلقت من أجلها.

لقد بدأ العدو حملته الاولى بالهجوم عبر كل من قرهو سرناي وبادمي وأم حجر ومصوع في آن واحد بغرض تشتيت قوى الثوار وإرباكهم متناسيا بأن المقاتل الإرثري قد خبر فنون القتال ولم تعد ترهبه كل المحاولات اليائسة للنيل من عزيمته او التأثير على معنوياته. ففي تلك الأثناء انسحبت قوات الجيش الشعبي الباسلة التي كان تسيطر على اجزاء كبيرة من مصوع استجابة لقرار الانسحاب الإستراتيجي الذي اتخذته القيادة الى ضواحي منطقة دوقالي واقامت فيها دفاعاتها الحصينة التي مكنتها من توجيه ضربات موجعة لقوات العدو وانهاك قواها, ونفس هذه الاستراتيجية إتبعها الثوار في المحاور العسكرية الأخرى ليستطيعوا في نهاية المطاف من إفشال الحملة الأولى برمتها.

لقد بلغت خسائر العدو في الحملة الاولى 3700 قتيل, 5100 جريح, و13 اسير, وتدمير 48 دبابة و18 من الآليات العسكرية , كما غنم الجيش الشعبي خمس دبابات وعدد من الأسلحة الخفيفة والمتوسطة , وهكذا إستطاع الجيش الشعبي بصموده الفولاذي من كسر شوكة العدو وسلب ممتلكاته وتلقينه دروساً في الصمود والتضحية والفداء من اجل الوطن.

بعد فشل الحملة الاولى مباشرة أي في شهر نوفمبر من العام 1978 سير الدرق حملته الثانية على الثوار الإرثريين والتي كانت مختلفة نوعاً ما عن الحملة الاولى حيث إتبع فيها العدو أسلوب المناورة, والهجوم على الثوار من عدة جبهات وفي آن واحد لإيجاد منفذ لقواته ومن ثم إختراق دفاعات الثوار ومحاولة القضاء على الثورة ودفعها الى التقهقر, حيث بدأ هجومه من اسمر صوب الشمال والشرق والغرب , ومن مصوع الى الغرب صوب منطقة بركة, وحتى يتسنى له السيطرة على القواعد الخفية للثورة حرك جنوده صوب منطقتي شعب وقلبوب أملاً منه في العبور

الى الساحل، ولخطورة هذه المحاولة الغادرة انسحبت قوات الجيش الشعبي من المعارك التي كانت تخوضها للسيطرة على منطقة عيلا برعد وكذا من جبهات الشرق والغرب لتقوم بصد قوات العدو في ذلك المحور وتقوية دفاعتها في منطقتي إمعيدى وقفلوم والإستعداد للمعركة الفاصلة.

لقد تكبد العدو في الحملة الثانية خسائر لاحصر لها رغم الدعم المتواصل الذي كان يجده من أسياده بدول الشرق والغرب، حيث بلغ عدد القتلى من جنوده 3100، والجرحى 3600، والاسرى 200، كما دمر الجيش الشعبي 61 دبابة من دبابات العدو وغنم منه حوالي 20 دبابة و4 سيارات عسكرية، مما أكد بان الانسحاب الإستراتيجي كان موفقاً، فالعدو وبالرغم من كثافة جنوده الذين كان يدفع بهم الى جبهات القتال وكذا الأسلحة الثقيلة التي كان يشركها في المعارك لم يتمكن من تحقيق اهدافه التي خطط لها، وبالعكس فقد إستطاع الجيش الشعبي ان يواصل هجماته على قوات العدو وهو ينفذ في ذات الوقت انسحابه الاستراتيجي.

ان السبب في قدرة هؤلاء الأثاوس على مجابهة قوة العدو الهائلة بتلك الشجاعة والبسالة بأسلحتهم الخفيفة، وإحداث خسائر كبيرة في صفوفه وسلب معداته العسكرية هو إيمانهم بعدالة القضية التي كانوا يناضلون من اجلها، ففي هذه الحملة تمكن هؤلاء الأبطال كما اسلفنا من سلب 20 دبابة من العدو وهي في حالة جيدة مما جعلهم يجزمون تماماً بان شعاع الحرية الذي حاول الاعداء حجب به بغيار ودخان حملاتهم العسكرية، سيعود يوماً ما عاجلاً او أجلاً بصورة اكثر سطوعاً و إشراقاً، فالجيش الشعبي المغوار لم يكن جيشاً عادياً كبقية الجيوش، بل كان جيشاً يتمتع بقيمة ثورية قل ان نجد مثيلها في هذا العصر كالإستعداد للتضحية والفداء ونكران الذات.. الخ، فبالرغم من كل الظروف القاسية التي كانت تحيط بأفراده في تلك الفترة الا انه صمد صموداً إسطورياً أذهل العدو الاثيوبي ومعاونيه من قوى الشرق والغرب، فمن جهة كان يجابه الحملة ويتصدى لها ومن جهة اخرى ينفذ قرار الانسحاب الإستراتيجي وفق الخطة الموضوعة باذلاً في سبيل تحقيق ذلك الغالي والنفيس .

ان الشعب الإرتري لم ينل حريته كهدية او هبة من أحد بل انتزعها من قبضة العدو عبر خوضه لنضال مرير قدم فيه آلاف الشهداء والمعاقين لقناعته التامة بأن لاهوية له و لاقيمه في هذا الكون دون إمتلاك حريته وإستقلاله. فالشعب الذي يفتقد حق تقرير المصير والإستقلال لا كرامة له بين شعوب دول العالم، فاللجوء والتشرد والحرمان والإذلال الذي تعرض لها الشعب الإرتري من الخمسينيات وحتى بداية التسعينيات من القرن الماضي لم يأتي من فراغ وانما جاء نتيجة لحرمانه من حقه في تقرير

المصير بسبب تأمر الدول الكبرى وحليفاتها أثيوبيا عليه لا لذنب إقترفه وانما من اجل السيطرة على ارضه التي تتمتع بموقع إستراتيجي مطل على اهم منفذ بحري في العالم يربط قارتي آسيا وأفريقيا ببعض ,ولهذا السبب تحمل هذا الشعب كل المآسي والمشاق من اجل الحصول على حريته وانتزاعها بالقوة من براثن المستعمر وبالتالي فإن تقديره لذكرى التحرير والاستقلال في الرابع والعشرين من مايو كل عام واحياءها بحفاوة كبيرة ناجم عن الإحترام الذي يكنه الإرتريون للابطال الذين جعلوا الاستقلال واقعاً معاشاً سواء اولئك الذين مضوا في درب الشهادة بعد ان ضحوا لشعبهم بأغلى مايملكون او الأحياء الذين إنخرطوا بعد التحرير في مهام إعادة البناء والتعمير والدفاع عن السيادة الوطنية , ليس هذا فحسب فالإحتفال بذكرى الاستقلال يعد فرصة لإستقاء الدروس والعبر من تلك الحقبة المهمة في تاريخ الشعب الإرتري والاسترشاد بها في مرحلة بناء الدولة الحديثة فضلاً عن تجديد العهد للحفاظ على المكتسبات التي تحققت والقيم الثورية التي ترسخت في حقبة النضال التحرري.

ان الإنسحاب الاستراتيجي الذي نفذه الثوار من القرى والبلدات والمدن المحررة لم يكن انسحاباً عفويا يضطرك للهروب متخلياً عن ممتلكاتك وقدراتك وانما كان خطة مدروسة إنتهجها الثوار للإيقاع بالعدو ودفعه للمضي قدماً في تهوره ومن ثم ضربه بيد من حديد في المكان والزمان الذي يناسب الثوار ويتماشى مع خطتهم,حيث تمكنوا بهذا الإسلوب التكتيكي من تدمير كل القدرات العسكرية الهائلة للعدو والتي كان يتباهى بها ويجزم بانها ستتيح له الفرصة في حسم المعركة لصالحه وفي اقصر وقت ممكن , ولكن وبالرغم من كل تلك الخسائر التي لحقت بالدرق في الحملتين الأولى والثانية الا ان العدو الاثيوبي لم يتعظ من حماقاته بل واصل تقدمه صوب الساحل دون ان يدري بأنه يتقدم طواعية الى المقبرة التي اعدت لجنوده,فالساحل كان بحق المقبرة التي دفنت فيها جثث واشلاء جنود العدو الأثيوبي وكذا الصخرة التي تحطمت فيها احلامه التوسعية .

لقد انسحب الثوار من ابواب العاصمة أسمرا الى الساحل بكامل قدراتهم وهم يلحقون الخسائر بالعدو ولكنهم عادوا الى اسمرا مجدداً في الرابع والعشرين من مايو من العام 1991م بعد ان افشلوا كل الحملات العسكرية التي سيرها الدرغ . لقد لقن مناضلي الثورة الإرترية القوات الإثيوبية الغازية التي كانت تندفع صوبهم بكثافة دروساً في التضحية والفداء,فقتلوا منهم اعداداً كبيرة واسروا العديد ممن آثروا

الإستسلام على المواجهة كما غنموا كميات لا بأس بها من العتاد الحربي المتطور والذي كان يعتقد العدو بأنه سيساعده في حسم المعركة وتحقيق حلمه في القضاء على الثورة الإرترية، ولكن هيات ان يحدث ذلك، فقد فشلت كل الخطط التي رسمها العدو واسياده واستطاع الثوار وهم ينسحبون من الأراضي المحررة الي القواعد الخلفية إنجاز مهمة الإنسحاب الإستراتيجي وفقاً لإرادتهم وهو واثقون تماماً بأن فراقهم لتلك الأرض سوف لن يطول وإنما سيعودون إليها يوماً ما وهم أكثر منعة وقوة .

ان العدو وفي غمرة الحملات المسعورة التي كان يشنها على الثوار المنسحبون باتجاه قواعدهم الخلفية، لم يكن يدري بأن الساحل سيكون بمثابة المقبرة التي ستدفن فيها جثامين جنوده وأطماعه التي نسجها في الخيال معتمداً على ترسانة أسلحته المستجلبة من قوى الشرق والغرب وجيوشه، فقد اعتقد ان يتفوقه العسكري من حيث العدة والعتاد يمكن ان يقهر مقاتلي الجيش الشعبي الأشاوس متناسياً بأن قوة الإرادة والعزيمة لايمكنها ان تقهر لاسيما اذا كانت بحجم قوة إرادة وعزيمة المقاتل الإرترى، الذي استطاع أن يفشل كل الحملات العسكرية ويعود لاحقاً الى المواقع التي انسحب منها ويواصل زحفه مجدداً الى العاصمة اسمرا التي دخلها في الرابع والعشرين من العام 1991م.

بالرغم من تعرض العدو في حملتيه الاولى والثانية التي شنهما على الثوار للعديد من الخسائر الا انه لم يتعظ من تلك الضربات المؤلمة، بل سير حملة ثالثة ضد الثوار في الفترة من يناير من العام 1979م وحتى شهر فبراير ليتعرض في هذه الحملة ايضاً لخسائر اخرى اشد قسوة من سابقتها. لقد إختار الجيش الشعبي ان يجابه هذه الحملة ايضاً بنفس الأسلوب الذي إتبعه في الحملتين السابقتين أي المواجهة مع تنفيذ خطة الإنسحاب الاستراتيجي، حيث انسحبت الوحدات المقاتلة في التاسع من يناير من العام 1979م بشكل مؤقت الى ضواحي قزقزا والتمركز فيها بعد تجهيز الدفاعات والسواتر المطلوبة لصد العدو وانهاك قواه بتنفيذ هجمات موجعة ضد أرتاله العسكرية التي كانت تاتي في شكل موجات بشرية تتدافع بلا خطة محكمة ولا استراتيجية واضحة بسبب التضليل الذي كانت تمارسه القيادات الاثيوبية على افراد جيشها بتصوير الثوار كقطاع طرق يمكن القضاء عليهم بكل سهولة ويسر.

ولكن ونظراً لتحرك جيش العدو في الثامن والعشرين من شهر يناير من العام 1979م من منطقة قلبوب ووصوله الى منطقة ألقينا بشمال الساحل ومحاولته لإختراق تلك الجبهة عبر السهول والوصول الى القاعدة الخلفية للجبهة الشعبية في

نقفة, قرر مقاتلي الجيش الشعبي المتمركزين في دفاعات قزقزا بالتوجه الى جبهة شمال شرق الساحل وبناء دفاعات قوية لقطع الطريق على العدو وثنيه عن مخططه الإجرامي الذي كان ينوي من خلاله الدخول الى القواعد الخلفية للثوار وتهديد وجود الثورة واستمراريتها . وبالفعل تمكن مقاتلوا الجيش الشعبي من تمتين دفاعاتهم في نقفة وشمال الساحل وبهذه الطريقة استطاعوا ان يحطموا احلام الغزاة ويفشلوا حملتهم المشؤومة التي ارادوا من خلالها تدنيس الساحل وتهديد المعازل الخلفية للثورة, ففي تلك الحملة شن العدو 15 هجوماً على مقاتلي الجيش الشعبي الذين كانوا يرابطون في جبل دندن بهدف السيطرة على نقفة الا ان كل تلك العمليات الهجومية باءت بالفشل الذريع بفضل صمود المقاتل الإرترى وبسالته لتندحر بذلك الحملة الثالثة وتفشل كبقية الحملات التي سبقتها.

لقد قتل أبطال الجيش الشعبي في الحملة الثالثة 900 من قوات الدرق وجرحو 1800 بينما اسروا 115 جندي, كما استولى على 10 دبابات و2417 من مختلف انواع الأسلحة, فضلاً عن تدمير 18 دبابة تدميراً كاملاً.

ان العدو الأثيوبي وظناً منه بأن قوة السلاح وكثافة الجيوش يمكن ان تقضي على الثورة الإرترية وتجبرها على الفرار او الإستسلام, فقد ظل يسير حملاته العسكرية الواحدة تلو الأخرى دون هوادة على امل تحقيق أحلامه التوسعية معتقداً بأن بإمكانه حسم المعركة بإتباع هذا الإسلوب, الا ان كل تلك الاماني ذهبت أدراج الرياح بفضل صمود المقاتل الإرترى ووقوف الشعب بكل صلابة خلف ثورته الظافرة.

اسدل الستار على الحملة الثالثة دون ان تحقق أهدافها, الا ان العدو في هذه المرة أيضاً لم يعي الدرس بل واصل الإعداد للحملة الرابعة والتي سيرها في الثلاثين من مارس من العام 1979م واستمرت معاركها حتى الحادي عشر من ابريل في نفس العام . وفي هذه الحملة كعادته دفع العدو بالآلاف من الجنود والآليات العسكرية والدبابات والطائرات الحربية الى الميدان بهدف الثأر للخسائر التي تعرض لها في الحملات السابقة, ولتحقيق ذلك بدء بالهجوم العنيف على جبهة نقفة بقذائق الدبابات وراجمات الصواريخ والطائرات ليملاً فضاء المعركة لهباً وغيوماً من الدخان, حيث كان العدو مقتنعاً في قرارة نفسه بقدرته على دخول نقفة عبر إتباع هذه الأسلوب الهجمي, الا ان كل محاولاته لتحقيق النصر تحطمت خلال 12 يوماً فقط على صخرة صمود المقاتل الإرترى في دفاعات "فارنيلو" و"دندن" وغيرها والتي شهدت بطولات لم يسبق لها مثيل في ميادين القتال. فقد تلقى الجيش الأثيوبي في هذه

الحملة أيضاً هزيمة نكراء رغم التجهيزات الكبيرة التي أعدته له قياداته والدعم الكبير الذي ظل يتلقاه من اعوانه السوفييت , لانه كان جيشاً بلا مبادئ ولاأهداف واضحة بعكس الجيش الشعبي الذي كان يتحلى بالقيم الثورية ويناضل افراده في سبيل تحقيق هدف نبيل الا وهو تحقيق الحرية والإستقلال.

وبلغة الارقام فقد بلغت خسائر العدو الاثيوبي في الارواح أثناء الحملة الرابعة 1400 قتيل و3600 جريح, كما غنم الجيش الشعبي 1,205 قطعة من الاسلحة الخفيفة والمتوسطة , ودمر 10 دبابات وثلاث مدرعات و78 من الآليات العسكرية .
ان فشل كل الحملات العسكرية التي بدأها العدو بالهجوم عبر منطقتي "قرهو سرناي" وأم حجر والتي بلغت أربع حملات متتالية , جعلت العدو يفكر ملياً في تغيير أساليبه القتالية وخطه الحربية التي أثبتت عملياً فشلها على أرض الواقع , وبالفعل قرر ان يللم اطرافه ويعيد تشكيل قواته لشن هجوم مباغت على الجيش الشعبي في اكثر من جبهة في كل من الدفاعات الدائمة للثوار بكل من القين ونقفة وحلحل وفي آن واحد , على امل ان يجد منفذاً عبر توسيع نطاق المعركة من خلال تشتيت الجهود الحربي للثوار في كل تلك الجبهات , الا إن الثوار هنا أيضاً كانت لهم استراتيجيتهم الخاصة بهم لإفشال هذه الحملة !!!

بعد فشل الحملات الأربع التي سيرها الدرق ضد الثورة الإرترية , شرع العدو الاثيوبي في تغيير استراتيجيته العسكرية , حيث لجأ الى أسلوب توسيع جبهات القتال لإنهاك الثوار من خلال دفعهم للقتال في اكثر من جبهة , وهذا ماحدث بالضبط في الحملة الخامسة التي سيرها في الفترة من الرابع عشر وحتى السادس والعشرين من شهر يوليو من العام 1979م. فقد حرك العدو في هذه الحملة وبهدف السيطرة على مدينة نقفة عاصمة الصمود الفيلقين 503 و 508 ليشنا هجوما مباشرا وجها لوجه على الثوار المرابطون على إمتداد طريق نقفة وجبل دندن املاً في ايجاد منفذ يسمح لهم بالتوغل الى القاعدة الخلفية للجبهة الشعبية . فقد اعد العدو خطة محكمة لسير المعارك في حملته الخامسة , حيث قرر شن الهجوم في الجهة اليمنى لجبهة نقفة من ناحية "أرهظت", والهجوم على الجهة اليسرى لجبهة نقفة من ناحية "عقت" و"حداق" بهدف الإلتفاف على الثوار ومحاصرة نقفة .

ومن اجل تنفيذ خطته الهجومية في الجهة اليسرى لجبهة نقفة فقد امر قواته بالنزول الى اقرع وقطع الطريق الذي يؤدي الى مدينة نقفة , ليس هذا فحسب فقد شرع العدو

في تشييد مطار عسكري في منطقة (أفجيو) لجلب فرقة عسكرية بكامل معداتها حتى توفر الدعم والمساندة اللازمة للقوات المهاجمة وخلق ظروف تضمن لها الإنتصار الحاسم في كل الأحوال , الا ان كل هذه الخطط لم يكتب لها النجاح عند الشروع في مرحلة التنفيذ .فبالرغم من بدء قوات الدرق من الفرقة 505 بتنفيذ هجومها الكبير على شمال نقفة من ناحية "ألقينا" لتوفير الدعم لقوات العدو المنهمكة في مهاجمة الثوار بالخطوط الامامية الا ان خطته الرامية الى ذلك لكم يكتب لها النجاح بفضل بسالة المقاتل الإرترى وتصديه الإسطوري لذلك الهجوم بقوة وحزم, ليس هذا فحسب فقد استطاع مقاتلو الجيش الشعبي من إفشال الهجوم الرئيسي الذي شنته قوات العدو على المقاتلين المرابطين حول نقفة من ناحية "حداق" لتضع بذلك نهاية تراجيدية للحملة الخامسة التي علق عليها العدو الأثيوبي أمالاً كبيرة . لقد بلغت خسائر الجيش الاثيوبي في الحملة الخامسة 4200 قتيل و7700 جريح و720 اسير , كما استولى الجيش الشعبي في تلك الحملة على 3 دبابات و2528 من مختلف انواع الاسلحة الخفيفة والمتوسطة فضلاً عن تدمير 4 دبابات و5 مدرعات و13 من السيارات العسكرية التابعة للعدو . فبالرغم من اصرار العدو الاثيوبي على تسيير الحملات العسكرية الواحدة تلو الأخرى مستفيداً من الدعم السخي الذي كان يحصل عليه من اسياده في الشرق والغرب الا ان صمود المقاتل الإرترى واستعداده للتضحية والإستشهاد من أجل المبدأ الذي دفعه للإلتحاق بالميدان أفشل كل تلك الحملات وجعلها جزءاً من التاريخ , فلو عقدنا مقارنة بين مقاتلي الجيش الشعبي في تلك الفترة وأفراد الجيش الأثيوبي نلاحظ ان المقاتل الإرترى كان يقاتل مقابل عشرات الجنود الاثيوبيين وبأسلحة متواضعة انتزعها من القوات الأثيوبية في المعارك التي ظل يخوضها بشجاعة ورباطة جأش.

لقد ظل العدو يتقن في تغيير خطته العسكرية لمجابهة الثوار, تارة بإقحام اعداد كبيرة من الجنود المغرر بهم في المعركة ودفعهم كالسيل الجارف بإتجاه دفاعات المقاتلين لإحداث إختراق يسمح لهم بضرب القاعدة الخلفية للثوار, وتارة اخرى بتكثيف القصف الجوي والأرضي على كل الجبهات بهدف التأثير على معنويات الثوار , الا ان كل تلك الأساليب البربرية لم تفت من عضد المقاتلين ولم تقلل من عزيمتهم بل زادتهم صلابة وإصراراً على مواصلة درب النضال غير مباليين بكل الشدائد والمخاطر التي كانت تحوم حولهم في تلك الآونة.. فالإستشهاد كان شرفاً يتمناه الجميع في تلك الفترة لانهم كانوا يدركون تماماً بأن شجرة الحرية لايمكنها ان تروى الا بدماء الشهداء .

ان تلك الحملات المتتالية مكنت الجيش الشعبي من إكتساب العديد من التجارب والخبرات العسكرية وإنترزاع كميات لا بأس بها من العتاد الحربي التي كان يستخدمها العدو الاثيوبي في معاركه الفاشلة , فضلاً عن زيادة اعداد افراد المناضلين بسبب تقاطر الشباب الى الميدان من الداخل والخارج عقب كل إنتصار يحققه الثوار على العدو, وفي المقابل فقد بدأت القدرات العسكرية للعدو تتناقص بين الحين والآخر كما ان معنويات جنوده باتت تتدني رويداً رويداً !!! كيف لا يحدث ذلك وهم يقاتلون بلا اهداف واضحة ولا خطط مدروسة في ارض لا يعرفون طبيعتها الجغرافية , على عكس الثوار الإرتريون الذين كانوا يقاتلون من أجل هدف نبيل وشريف الا وهو تحرير الأرض والإنسان من قبضة مستعمر بغيض وتوسعي لاهم له سوى إحتلال ارض الغير مهما كلفه ذلك من ثمن .

ان سر انتصار الثورة الإرترية لم يكن في تفوقها العسكري على العدو الاثيوبي وانما في صمود مقاتليها الذين كانوا يناضلون من أجل رفع الظلم عن شعبهم وتحقيق حلم الحرية والاستقلال , فضلاً عن ايمانهم بان النصر حليف المظلومين مهما طال الزمن أو قصر. فبالرغم من الهزائم التي مني بها العدو في الحملات الخمس التي سيرها ضد الثورة الإرترية الا إنه لم يتعظ من كل ذلك وانما تمادي في غيه وجبروته غير آبه بالمصير القاتم الذي كان يواجهه الآلاف من جنوده الذين كانوا يموتون بكثرة في المعارك التي كانوا يساقون اليها كالقطيع , اما الثوار فقد زادت شوكتهم وارتفعت معنوياتهم الى عنان السماء لينتقلوا من مرحلة الدفاع الى مرحلة الهجوم وذلك في الفترة من الثاني وحتى السادس عشر من ديسمبر العام 1979م. بعد فشل الحملة الخامسة للدوق انتقل مقاتلوا الجيش الشعبي من مرحلة الدفاع والتصدي الى مرحلة الهجوم بإستخدام العديد من الأساليب القتالية لتفويت الفرصة على العدو وحرمانه من إتقاط أنفاسه عقب الهزائم المتتالية التي تعرض لها , حيث شن مقاتلونا الأشاوس في الفترة من الثاني وحتى السادس عشر من ديسمبر العام 1979م هجمات مركزة على قوات العدو من مختلف الجهات والتي ألجمت السنة أبواغ الدرق ومعاونيه الذين كانوا قد وقعوا تحت تأثير دعايات الدرق المغرضة والتي كان يقول فيها لقد إندحرت الثورة الإرترية وتقهقرت مرة وإلى الأبد من أبواب العاصمة اسمرا الى الساحل .

ان هذا الهجوم المضاد الذي نفذه الجيش الشعبي بعد إنجازه لمهمة الإنسحاب الإستراتيجي وتصديه للحملات الخمس شكل صدمة قوية للعدو الاثيوبي الذي لم يكن يتوقع أن تنقلب الاوضاع بتلك الشاكلة ويصبح الثوار هم أصحاب المبادرة في

ساحة المعركة , ليس هذا فحسب فقد ادهشه تقارب ميزان القوى بينه وبين الثوار الذين زادت قدراتهم العسكرية بشكل ملحوظ بفضل العتاد الحربي الكبير الذي استولوا عليه من الثوار والاعداد الكبيرة من الشباب الذين انخرطوا في صفوف الثورة . ان الهجوم الذي شنه الثوار على العدو باتجاه جبهة نقفة ألحق أضراراً لاحصر لها بقوات الدرق التي هزمت وتقهقرت من أطراف مدينة نقفة وحتى منطقة عشورم بضواحي مدينة افعبت , فبالإضافة الى الخسائر الفادحة في الارواح , فقد استولى الجيش الشعبي على 17 دبابة , و7 مدرعة , 97 سيارة بأحجام مختلفة , و80 من المدافع ومضادات الطائرات و3600 من الاسلحة الخفيفة والمتوسطة كما دمر 15 دبابة و100 سيارة تابعة للعدو .

عقب هذا الهجوم الناجح في جبهة نقفة شن الجيش الشعبي هجوماً آخر في جبهة شمال الساحل في الفترة من العاشر وحتى الخامس عشر من شهر يناير من العام 1980م ملحقاً دماراً كبيراً بقوات العدو وعتاده الحربي حيث قتل وجرح في هذا الهجوم قرابة 5000 من أفراد الجيش الأثيوبي واستولى على عدد هائل من الأسلحة الخفيفة والمتوسطة . وبالرغم من تلك الانتصارات الباهرة التي حققها الجيش الشعبي على القوات الاثيوبية الغازية الا ان قيادة الدرق لم تتعظ من كل تلك الهزائم بل استمرت في غيها وجبروتها , فالهجمات التي شنها الجيش الشعبي على العدو عقب فشل الحملة الخامسة شكلت هاجساً أرق مضاجع العدو الأثيوبي أجبره على التفكير ملياً في تدريب قوات (**Ranger Force**) تتحمل ارتفاع درجات الحرارة والعطش و تستطيع ان تخوض المعارك في الجبال بدون دعم الطائرات والدبابات , وهكذا انهمك الدرق لعامين متتالين في التجهيز للحملة السادسة من خلال تدريب المزيد من الجنود وإخضاعهم للدورات التعبوية بهدف الرفع من معنوياتهم ودفعهم في نهاية المطاف الى خوض حرب لاناقة لهم فيها ولاجمل .

لقد سير الدرق الحملة السادسة التي كانت تعرف ايضاً بحملة النجم الاحمر ضد الثوار الإرتريين في الفترة من منتصف فبراير وحتى شهر يونيو من العام 1982م , لتشهد الساحة الإرترية اشرس المعارك وأكثرها ضراوة منذ بدء الحملات البربرية للدرق على الثورة , وفي تلك الفترة إستبدل العدو نظام الفيالق الذي كان يتبعه في هيكله قواته بنظام القيادات العسكرية "إز" , وعمل على تجهيز اربع فرق عسكرية "18,19,21,22" تدرب افرادها على حرب الجبال لتتضم الى القوات المشاركة في الحملة السادسة والتي خضعت لتدريب عسكري عالي , وبعد إكمال الاستعدادات اعلن الدرق بداية الحملة السادسة في مهرجان دعائي بمدينة مصوع لتبدأ المعارك فعلياً بتاريخ 15/02/1988م .

من الغرائب ان نظام الدرق لم يستفد من تجاربه السابقة في الحرب مع الثورة الإرترية ,حيث اختار مواصلة حملاته رغم الخسائر الهائلة التي كان يتعرض لها في مواجهة ثوار يناضلون من اجل إحقاق الحق ورفع الظلم عن كاهل شعبهم ووطنهم. لقد كان يتعامل الدرق مع التقارير التي كانت تصل اليه عن خسائره الفادحة في المعارك خلال الحملات العسكرية المتتالية التي خاضها كتعامل المقامرير الذين يحاولون إخفاء خسائرهم وتجاهلها على امل الحصول على الأرباح في الجولات القادمة ليعودوا في نهاية المطاف بخفي حنين,وهذا ماحدث بالضبط لنظام الدرق الذي رفع شعار كل شئ الى جبهات القتال ليدخل بكل إمكانياته في حرب شعواء مع الثوار الإرتريين وهو يتباهي بقوته العسكرية الزائفة والتي لم تتمكن من الصمود امام عزيمة وإصرار الثوار على هزيمته وتلقيه دروساً في التضحية والفداء. لقد شن العدو حملته السادسة ضد الثورة الإرترية بكل الإتجاهات دون ان يضع في الحسبان العواقب التي قد تحل بجنوده الذين تعودوا على تجرع الهزيمة والفرار من أرض المعارك,وبناءً على الهيكل الجديدة فقد بدأ العدو بشن هجماته من عدة جبهات عسكرية: في جبهة شمال شرق الساحل والتي أطلق عليها أسم "وقاو إز" قام العدو بتسيير الفرقة العسكرية 15من جهة دمبوبيت والسعي للإلتفاف على مواقع الثوار من الخلف عبر الاراضي السودانية وقطع الطريق الذي يصل الثوار بالسودان ومن ثم التوغل الى القاعدة الخلفية للثوار.

اما الفرقة 23 فقد اوكلت اليها مهمة الهجوم من جهة طروروق لإسناد الفرقة 15 . وفيما يتعلق بالفرقة 19 فقد كلفت بالهجوم المباشر على الثوار وجهاً لوجه وإحداث إختراق عسكري في منطقة قبر وئت في جبهة نقفة التي كانت تعرف ب" نادو إز " دفع العدو بعدد من الفرق العسكرية وهي : الفرقة الثالثة من جيشه والتي كان مقررا لها ان تأتي من جهة اقرع لتلتف على نقفة وتدخلها من الخلف ومن ثم تفصلها عن القاعدة الخلفية للثورة. الفرقة 17 والتي اوكلت اليها مهمة الهجوم من جهة تكسى و أروى والدخول الى نقفة. الفرقة 22,على ان تنطلق عبر طريق نقفة وتشتبك مع الثوار المرابطون في تلك البقعة والدخول الى نقفة. الفرقة 18, لتعمل كفرقة إسناد عند بدء المعارك كما اسلفنا في الحلقة الماضية فقد فتح العدو في الحملة السادسة جبهات عديدة ضد الثورة الإرترية بهدف إنهاك الثوار وتشتيت قواهم واوضحنا الفرق التي دفع بها في جبهتي "وقاو إز" و"نادو إز", اما في جبهة "مبراق إز" فقد سير العدو عدة فرق عسكرية على النحو الآتي : - الفرقة 24 من جهة "سلعا" ليقطع الخط الذي

يصل القاعدة الخلفية للثورة بالأراضي السودانية ومن ثم التوغل الى منطقة "حاستا". - تسيير الفرقة 21 باتجاه منطقتي " حلحل - أسماط" والتخطيط للدخول عبرهما الى منطقة "زرا". لقد كان هدفهم من فتح كل هذه الجبهات في آن واحد محاصرة الثورة في قاعدتها الخلفية ومن ثم إلتقاء كل هذه الفرق العسكرية بعد إكمال مهامها التي اوكلت اليها في قلب تلك القاعدة ومن ثم القضاء على الثورة الإرترية مرة وإلى الأبد.

لقد استخدم العدو العديد من الأساليب العسكرية في معاركه التي خاضها ضد الثوار في الحملة السادسة والتي بدأت في الثاني من يونيو من العام 1982م. وفي المقابل لم ينتظر الثوار تلك الحملة وهم مكتوفي الأيدي بل خططوا بكل مايملكون من إمكانيات لإفشالها وبالفعل فقد إستطاع مقاتلي الثورة الأشاوس من تدمير قوات العدو المهاجمة في جبهة "مبراق إز" في الأيام الأولى من بدء الحملة السادسة , اما بقايا الفرقة 21 و24 و2 فقد تم تجميعها في جبهة نقفة , وفيما يتعلق بقوات العدو التي كانت في جبهة "وقاو إز" فإنها وبالرغم من الآمال التي كان قد علقها الدرق عليها بعد سيطرتها على "دمبويت" وقيامها بالعديد من المحاولات للتوغل الا إن ابطال الجيش الشعبي إستطاعوا من صدها وإجبارها في نهاية الامر على التقهقر وهي تجرر أذيال الهزيمة والعار.

بعد تلك الهزائم التي مني بها الدرق , قرر ان يركز هجماته في جبهة نقفة والمنطقة الواقعة بين جبهتي نقفة وجبهة شمال شرق الساحل . وبما ان مدينة نقفة كانت محور الصراع الرئيسي في تلك الحملة فقد وجه العدو الاثيوبي فرقه العسكرية المتبقية الى تلك المدينة "18,24,21 لتساند الفرق العسكرية التي كانت مرابطة حولها من قبل أي الفرق "3,17,22". لقد شن العدو حرباً دموية لاهوادة فيها من اجل السيطرة على مدينة الصمود نقفة الا ان مقاتلي الجيش الشعبي الأشاوس تمكنوا من صد كل تلك الهجمات المتكررة ليحطموا بذلك أحلام العدو ورغبته الجامحة لدخول نقفة التي استعصت عليه رغم كل محاولاته المتكررة واليائسة , والتي استخدم فيها كل ماكان بحوزته من عتاد حربي متطور أغدقه عليه اسياده من الشرق والغرب. لقد جابه الثوار الهجمات البربرية للعدو خلال الحملة السادسة بكل شجاعة ورباطة جأش بالإعتماد على إمكانياتهم العسكرية المتواضعة وصمودهم الإسطوري , ليثبتوا للعدو مجدداً بأن الثورة الإرترية لم تنطلق شراراتها وتظهر في الوجود الا لتنتصر وتحقق أهدافها السامية . وهكذا دمرت الحملة السادسة "التي كان يتباهى بها الدرق ويقول بأنها ستكون الحملة الأخيرة والحاسمة ضد الثوار "على صخرة الصمود الإرتري

كسابقاتها من الحملات الجائرة التي فشلت الواحدة تلو الأخرى، ملحقة العديد من الخسائر المادية والبشرية بالعدو الذي لم يكن يأبه بأرواح جنوده الذين كانوا يتساقطون في جبال ووديان الساحل كتساقط أوراق الخريف.

لقد أشرك العدو في الحملة السادسة أكثر من 90 ألف من جنوده مزودين بأحدث أنواع الأسلحة المتوسطة والثقيلة، بالإضافة إلى طائراته الحربية التي كانت تقصف مدينة نفقة والثوار المرابطين حولها بشكل عشوائي ليلاً عن طرف نهار، ليس هذا فحسب فقد استخدم العدو في هذه الحملة الغازات السامة المحرمة دولياً ضد الثوار، إلا أن كل هذه الأعمال البربرية لم تخر من عزيمة الثوار وإنما زادتهم إصراراً على التحدي والصمود ومقارعة العدو وجهاً لوجه. صحيح أن الحملة السادسة كانت من الحملات التي قدمت فيها الجبهة الشعبية أكبر عدد من الشهداء مقارنة بالحملات التي سبقتها ولكنها في ذات الوقت كانت القشة التي قصمت ظهر البعير، من خلال تأثيرها السلبي على معنويات الدرق وقواته الذين تأكد لهم جلياً استحالة هزيمة الثورة الإرترية.

وبلغة الأرقام فقد بلغت خسائر العدو في تلك الحملة 40 ألف جندي بين قتيل وجريح و939 أسير، فضلاً عن تمكن الجيش الشعبي من تدمير 19 دبابة من دبابات العدو الحديثة وعدد كبير من سياراته العسكرية و3 من طائراته الحربية وكذا الاستيلاء على 7517 من أسلحته المتوسطة. لقد احتفظ الثوار في تلك الأونة بكامل معنوياتهم، رغم كل التحديات التي كانت تواجههم، لإدارتهم التام بان ظلام الإستعمار لا بد أن ينجلي حتى وإن طال أمده، وإن المعاناة لا بد أن تراوح مكانها يوماً ما وإن امتدت سنواتها، وبنتلك العزيمة استطاع الثوار أن يهزموا العدو ويكسروا شوكته ويحطموا أحلامه التوسعية لتتحرر إرتريا من براثن المستعمر الأثيوبي وتنبوأ مكانها بين الأمم رغم كيد الغاصبين ومؤامرات القوى الكبرى التي تقبلت إستقلال إرتريا على مضض لاسيما وأن هذا الشعب المغوار لم ينل استقلاله هبة أو إستجداء من أحد بل قدم في سبيل ذلك ارتالاً من الشهداء الذين رووا بدماءهم شجرة الحرية.

إن الخسائر الكبيرة التي تعرض لها العدو في الحملة السادسة كانت جديدة إن تدفعه للتفكير بصورة جادة في مغادرة إرتريا والإقتناع بهزيمته أمام الثوار الإرتريين، إلا أن عقليته المتحجرة وشعوره بالحرج أمام داعميه من الدول الكبرى، كل ذلك جعله يتمادي في غيه وجبروته ويستعد لشئ المزيد من الحملات على الثورة

الإرترية رغم ادراكه التام بأن هذه الثورة لم تعد ثورة لقطاع الطرق كما كان يدعي في أباوغه الاعلامية بل هي ثورة شعب رفض الذل والإستعباد ورضي بالتضحية والفداء من اجل تحقيق حلمه في الحرية والإنعتاق.

ظل نضال الشعب الإرتري يتطور من عام الى آخر عقب الإنسحاب الإستراتيجي الذي شكل تحدياً كبيراً للثورة والثوار في تلك الفترة، فقد ظن الدرق بان الإنسحاب الإستراتيجي هو بداية تقهقر الثورة الإرترية وإختفاءها من الوجود، ووظف كل وسائل إعلامه لترسيخ هذا الإستنتاج الخاطئ في عقول جنوده وكذا داعميه من الدول الكبرى، ولكن كل تلك التصورات ذهبت ادراج الرياح وعاد الثوار مجدداً الى القرى والبلدات والمدن التي غادروها وهم اكثر قوة ومنعة، حيث كان العدو الأثيوبي وبطريقة غير مباشرة الممول الرئيسي للثوار بالعتاد الحربي الذي كانت تستولى عليه الثورة عقب كل معركة تخوضها مع العدو .

ان صمود الثوار الإرتريون وقدرتهم الفائقة على المرونة في مواجهة أساليب وخطط العدو المتعددة خلال الحملة السادسة، ساهمت في إفشال تلك الحملة التي صاحبته إستعدادات كبيرة وضجيج إعلامي لامثيل له مقارنة بالحملات السابقة، وبالرغم من الضربات المؤلمة التي تعرض لها الجيش الأثيوبي خلال تلك الحملة إلا أنه لم يستوعب الدرس، وانما سارع على الفور بالتجهيز للحملة السابعة بعيداً عن الأضواء والتي أطلق عليها اسم "الحملة الصامتة" وذلك عملاً بنصيحة رفاقه السوفييت الذين اكدوا له بأن النصر سيكون حليفه في حال مباغته الثوار بحملة عسكرية دون الإعلان عنها، وما دروا بأن ميزان القوة بين الجيش الشعبي وقوات الدرق قد تقارب بشكل كبير عقب فشل الحملة السادسة وإستيلاء الجبهة الشعبية على كميات كبيرة من العتاد الحربي ومن ثم زيادة قدرتها على التصدي لأي هجوم أياً كانت اساليبه او مصدره .

لقد سير الدرق حملته السابعة ضد الثورة الإرترية في الفترة من السادس والعشرين من شهر مارس وحتى شهر أغسطس من العام 1983م "أي لمدة اربعة أشهر متتالية" قبل ان تندمل جراح هزائمه في الحملة السادسة والحملات السابقة وذلك تحت إشراف الجنرال السوفيتي "فيتروف". ان استراتيجية العدو في الحملة السابعة كانت تتمثل في إحداث إختراق عبر "ملبسو" والوصول الى "زرا"، وكذا السيطرة على مدينة نقفة من خلال الهجوم عبر جبهة نقفة، والدخول الى القاعدة الخلفية للثورة عبر الساحل الشمالي . ان اهم ما كان يميز هذه الحملة عن سابقتها هو سريتها وإتساع الجبهات التي فتحتها العدو ضد الثوار والتي امتدت من جبهة شمال شرق الساحل -

مروراً بجبهة نفقة - وحتى بركا, وبالرغم من كل ذلك فقد تمكن الثوار من افشال هذه الحملة وتدميرها بالكامل من خلال المعارك التي خاضوها ضد القوات المهاجمة لمدة اربعة أشهر متتالية .

وفي هذه الحملة بلغت خسائر العدو 5717 قتيل و8836 جريح و443 أسير واستولى أبطال الجيش الشعبي على 17 من المدافع الثقيلة, و2860 من الأسلحة المتوسطة والخفيفة كما دمر 6 دبابات و19 من السيارات العسكرية للعدو .
لقد شكل هذا الإنتصار على العدو نقطة تحول كبيرة في طبيعة القتال بين مقاتلي الجيش الشعبي والجيش الأثيوبي , واصبحت الجبهة الشعبية رقما مهما يصعب تجاوزه , وقوة يحسب لها ألف حساب من قبل العدو واعوانه لاسيما وانها قد رتبت أوضاعها لتصبح اشبه بدولة تديرشؤون مواطنيها في كل الاراضي المحررة وتؤسس لميلاد وطن تسوده العدالة الإجتماعية .

بعد تمكن الجبهة الشعبية من إفشال الحملات العسكرية السبع لنظام الدرق , تقوى عودها وأصبحت قادرة على الإنتقال من مرحلة الدفاع الى مرحلة الهجوم , وبناءً على ذلك فقد شن مقاتلوا الجيش الشعبي منذ مطلع العام 1984م هجمات مضادة ضد قوات الجيش الأثيوبي , فبتاريخ 12/01/1984م شن مقاتلو الجيش الشعبي هجوماً مباغتاً على قوات الدرق في غرب إرتريا وتمكنوا من تحرير مدينة تسني من قبضة العدو , حيث وقع هذا الخبر كالصاعقة على مسامع قيادة الجيش الاثيوبي واعوانه , بينما أثلج صدور الثوار ورفع من معنوياتهم القتالية , كما ساهم في زيادة إنخراط الشباب الى صفوف الجيش الشعبي بأعداد كبيرة من داخل الوطن وخارجه . وقد بلغت خسائر العدو في معركة تسني اكثر من 1200 قتيل وجريح, و200 أسير, كما إستولى الجيش الشعبي على 6 دبابة و8 سيارة وخمس مدافع و2000 من الأسلحة المختلفة . لم يكتف الجيش الشعبي بتحرير مدينة تسني بل شرع مباشرة في تنفيذ هجوم آخر باتجاه شمال شرق الساحل لتدمير قوات العدو التي كانت ترابط فيما كان يعرف بجبهة "وقاو إز" وذلك في التاسع عشر من مارس من العام 1984م , حيث يعتبر ذلك الهجوم بالنسبة للثوار الهجوم الأكبر منذ الإنسحاب الإستراتيجي .

استمر هذا الهجوم حتى الحادي والعشرين من شهر مارس لينتهي بإنتصار مقاتلي الجيش الشعبي وسيطرتهم على سهول شمال شرق الساحل , ليؤكدوا بذلك قدرتهم على مواجهة العدو ليس فقط في كهوف وجبال الساحل وانما ايضاً في السهول والأراضي المنبسطة وليضربوا أرض الحائط بأكاذيب الدرق التي كان يرددها في

تلك الأونة على الملاً بقوله "جبال الساحل هي التي تخوض معنا الحرب وليس هؤلاء الشفتا"قطاع الطرق" الذين لا يستطيعون الوقوف امامنا ناهيك ان يخوضوا معنا الحرب" , وهكذا استطاع مقاتلو الجيش الشعبي الأشاوس من السيطرة على سهول منطقة شمال شرق الساحل الواسعة و الممتدة حتى ضفاف البحر الأحمر مجبرين قوات العدو المتبقية للتقهقر والفرار الى الخلف تاركين قتلاهم وأسراهم وعتادهم الحربي من وراء ظهورهم . وبلغت الارقام فقد بلغت خسائر العدو في هذه المعركة الحاسمة التي استمرت من التاسع عشر وحتى الحادي والعشرين من مارس 1984م 4500 قتيل و 2457 أسير" وهذا يعد اكبر عدد للأسرى الأثيوبيين منذ الإنسحاب الإستراتيجي " , كما إستولى الجيش الشعبي على 80% من ممتلكات الجيش الأثيوبي الذي كان مرابطاً في تلك الأونة بجهة شمال شرق الساحل "وقاو إز".

لقد توارت الدعايات المغرضة التي كان يطلقها الاعداء واعوانه بخصوص إنهيار الثورة الإرترية وإضمحلالها عقب الإنتصارات التي حققها الثوار في تسني وجهة شمال شرق الساحل , حيث برزت هذه الثورة الفريدة من نوعها مجدداً في الصدارة وبدا شعاع الحرية في البروغ من على الأفق بفضل صمود مقاتلي الجيش الشعبي لترتفع بذلك معنويات الشعب الإرترى وأبناءه الثوار الى عنان السماء ويتأكد لهم جلياً أكثر من أي وقت مضى بأن الحرية قادمة لامحالة مهما طال الزمن او قصر , وفي المقابل فقد ساهمت هذه الإنتصارات بدرجة كبيرة في إنخفاض معنويات افراد الجيش الأثيوبي مبشرة بإنصارات أخرى قادمة .

لم يكتفي الجيش الشعبي بسيطرته على اجزاء واسعة من الأراضي في منطقة شمال شرق الساحل وانما واصل مسيرته الظافرة بهدف تحرير ماتبقي من أراضي في قبضة العدو حيث خاض عقب ذلك مباشرة معارك طاحنة ضد قوات العدو التي ظلت تهاجم باستمرار باتجاه يسار جبهة نقفة ومن ثم تدميرها بالكامل في نهاية المطاف , ومن المعلوم ان هذه المعركة تعد اول معركة يخوض فيها أبطال الجيش الشعبي حرباً بالدبابات وجهاً لوجه مع قوات العدو الأثيوبي .

كما نوهنا آنفا فإن الجيش الشعبي وبعد إفشاله للحملات السبع إنتقل من مرحلة الدفاع الى مرحلة الهجوم , وعليه فإن نطاق عملياته النضالية لم يكن محصوراً في الدفاعات فقط وانما تجاوزها الى خوض عمليات نوعية خلف الخطوط الخلفية للعدو , ومن ضمن تلك العمليات البطولية التي نفذها مقاتلوا الجيش الشعبي في العمق , عملية

الكوماندو التي إستهدفت مطار سمبل الدولي بالعاصمة أسمرأ وذلك بتاريخ الحادي والعشرين من شهر مايو من العام 1984 , حيث اخترف فدائيو الجبهة الشعبية دفاعات الجيش الأثيوبي التي كانت تحاصر العاصمة اسمرأ من كل حذب وصوب ليدخلوا الى المطار الدولي ويحرقوا 33 من الطائرات الحربية للعدو والتي كانت رابضة في المطار ,ليثأروا بذلك لأرواح آلاف الشهداء الذين حصدتهم قذائف هذه الطائرات التي كانت تقصف بشكل عشوائي كل من تجده في نطاق تحليقها غيرمبالية بالقوانين الدولية التي تحرم قتل المدنيين العزل . لقد أثبتت هذه العملية البطولية قدرة مقاتلي الجيش الشعبي على العودة الى العاصمة أسمرأ التي إنسحبوا من أبوابها في بداية مرحلة الإنسحاب الإستراتيجي ,كما انها اثارت الرعب والخوف في اوساط قيادات الجيش الأثيوبي الذين لم يدر بخلداهم أن يقدم الثوار على تنفيذ مثل هذه العملية النوعية في قلب العاصمة التي كانوا يعتقدون بانها حصنهم الذي لايمكن إختراقه بأي حال من الاحوال لاسيما المطار الذي كان يتمتع بحراسات مشددة بإعتباره من المرافق الحيوية في تلك الفترة .

عقب تلك العملية تواصلت هجمات الجيش الشعبي في الريف والحضر وبدأت معنويات المقاتلين والشعب تزداد يوماً إثر آخر وهم يشاهدون شعاع الحرية يلوح في الأفق بفضل تلك الإنتصارات الباهرة ,حيث كان العام 1984عام الإنتصارات منذ بدايته وحتى نهايته, وهو العام الذي كان يردد فيه الثوار الإنشودة التي تقول في مطلعها بلغة التقوى "عوتى سني وقبلت ساحل ,أباي وديناهو قردم قردم",أي بمعنى "انتصارات تسني وشمال الساحل مكنتنا من تحطيم العدو وتدميره". ومع دخول العام 1985م بدأ الجيش الشعبي في تسيير هجمات متتالية لتحرير المدن الأخرى ,ففي السابع من شهر يوليو من العام 1985م شن المناضلون هجوماً قويا على قوات الجيش الأثيوبي التي كانت مرابطة حول مدينة بارنتو وتمكنوا من إعادة المدينة الى حضن الوطن والتي كانت قد تعرضت في العام 1978 لجمات متتالية من قبل الجيش الشعبي بهدف تحريرها , الا ان تلك المحاولات لم يكتب لها النجاح في تلك الآونة نظراً للتفاوت في العدة والعتاد بين الثوار وقوات الدرق في تلك الفترة ,ولكن وبعد ثماني سنوات من مقارعة العدو وافشال حملاته المتتالية تقوى عود الجيش الشعبي وإستطاع أخيراً ان يخلص مدينة بارنتو من براثن المستعمر في معركة لم تتجاوز بضع ساعات .

لقد أرق تحرير مدينة بارنتو مضاجع العدو وجعله يخطط بكل مايملك من قوة لإستعادتها إدراكاً منه لأهميتها الإستراتيجية ,وبهدف تحقيق ذلك إستجلب العدو اعداد كبيرة من قواته من داخل أثيوبيا وأجزاء من إرتريا وشن هجمات متتالية على الثوار لإعادة السيطرة على بارنتو حاملاً شعار " الموت او تحرير باننتو " ,حيث بدأ الهجوم الكبير والمتواصل ليلاً عن طرف نهار على المدينة من ناحية "شمبقو" و "ماي لام" لتتوالى ألوية الدرق الواحدة تلو الأخرى في ارض المعركة وهو تسعي بلاهوادة لهزيمة الثوار واخراجهم من المدينة ,وبعد حرب استمرت لشهر كامل قرر مقاتلو الجيش الشعبي الإنسحاب من مدينة بارنتو والتمركز حولها وتنفيذ هجمات مضادة تصيب العدو في مقتل وتدفعه في نهاية المطاف ليس الخروج من بارنتو فقط , بل وحتى من القرى والبلدات والمدن المجاورة لها لاسيما وان لديهم تجربة ثرة في مرحلة الإنسحاب الإستراتيجي التي مكنت الجيش الشعبي من المحافظة على قوته وصقل قدراته القتالية من خلال التجارب التي اكتسبها في تصديه للحملات الإثيوبية المتتالية . وفي هذا الهجوم وبالرغم من الاعداد الهائلة من الجنود والكميات الكبيرة من السلاح التي دفع بها العدو الى المعركة إلا انه تعرض لخسائر فادحة في الأرواح والعتاد خلال هجومه على بارنتو والدفاع عنها بعد الإستيلاء عليها مجدداً ,حيث تمكن الجيش الشعبي من قتل 4200 وجرح 6000 وأسر 1050 من جنود العدو كما استولى على 15 دبابة و9 من المدافع نوع "122 مليمتر" وكميات كبيرة من الأسلحة المختلفة و عدد من السيارات والآليات ,فضلاً عن تدمير 2 من الطائرات الحربية من نوع ميغ 21و17 دبابة و5 من المدرعات و4 من المدافع نوع "122 مليمتر" و7 رشاشات من نوع "زو 23" و55 من السيارات المختلفة.

وبشكل عام المعارك التي خاضها مقاتلو الجيش الشعبي ضد العدو الأثيوبي بعد الإنسحاب الإستراتيجي والانتصارات التي صاحبته أكدت بما لايدع مجالاً للشك بأن جذور المستعمر الأثيوبي في إرتريا شارفت على الإقتلاع وان الجبهة الشعبية أصبحت بمثابة دولة تدير شؤون شعبها وتقدم الخدمات لمواطنيها في الأراضي المحررة وشبه المحررة من خلال توفير المرافق الخدمية كالمصانع والمؤسسات الصحية والتعليمية وغيرها . ان قرار الإنسحاب الذي إتخذته قيادة الجيش الشعبي من مدينة بارنتو وضواحيها كان بهدف رص الصفوف مجددا وترتيب أوضاع الثوار بما يمكنهم من إلحاق أكبر خسائر ممكنة بالعدو ,بعكس توقعات قيادة الدرق في تلك الآونة ,والتي كانت تعتقد بان إنسحاب الثوار من بارنتو دلالة على

ضعفهم وعدم قدرتهم على المواجهة لتشرع على الفور وعبر وسائل إعلامها في نشر أخبار إنتصارات قواتها الزائفة وتعد لحملة عسكرية أخرى كالحملات السابقة رغم علمها بأن هذه الحملات الآن ايضاً ستتحطم لامحالة على صخرة الصمود الإرتري.

وهكذا سير العدو الأثيوبي كعادته في الفترة من العاشر من أكتوبر وحتى الرابع من ديسمبر من العام 1986م حملته الثامنة والتي عرفت بحملة بحر نقاش, والتي وجه فيها قواته على وجه السرعة الى جبهة نقفة وجبهة شمال الساحل وجبهة حلحل ظناً منه بان غالبية قوات الجيش الشعبي متواجدة في منطقة بركة لإنشغالها بمعارك بارنتو وبإمكانه إحداث اختراق سريع في تلك الجبهات والدخول الى القاعدة الخلفية للثوار, ولكن هيهات ان يحدث ذلك, فقد ادرك الجيش الشعبي مبكراً بخطة العدو وسارع بدوره في تقوية دفاعاته في تلك الجبهات والإستعداد لإفشال الحملة الثامنة, وعندما بدأت المواجهة الفعلية بين الثوار وقوات الدرق في تلك الحملة اكتشف العدو خطأ توقعاته بعد التصدي الكبير الذي واجهه في جبهات القتال وادرك جيداً بان الجيش الشعبي جيش ثوري لا يقهر مهما تعددت الوسائل او إختلفت الأساليب والخطط التي تتبع ضده, فقد فرت جحافل العدو من ساة المعارك عندما رأت بسالة و صمود المقاتل الإرتري وإستعداده للتضحية والفداء, وإضطرت قواته التي دخلت من ناحية جبهة شمال شرق الساحل بالهروب من المنطقة ليلاً ليسدل الستار على الحملة الثامنة بهزيمة العدو الذي خسر في تلك الحملة 6407 قتيل و9928 جريح و142 اسير, كما تمكن مقاتلي الجيش الشعبي من الإستيلاء على 7 دبابة و1900 قطعة من الأسلحة الخفيفة والمتوسطة من جيش العدو, فضلاً عن تدمير 15 دبابة, وهكذا تمكن الجيش الشعبي من إفشال الحملة الثامنة والتي بفشلها تحطمت حملات الجيش الأثيوبي التي بدأها منذ العام 1978م وحتى العام 1986م مرة والى الأبد.

رأينا في الأجزاء الماضية كيف ان الجيش الشعبي إستطاع ان يفشل كل الحملات العسكرية الإثيوبية الثمانية والتي سيرها العدو بهدف القضاء على الثورة الإرترية, ظناً منه بأن قوة السلاح يمكن ان تخمد ثورة شعب رفض الظلم والإضطهاد, فقد تمكن الثوار من تلقين المستعمر دروساً في التضحية والفداء واغرقوه في مستنقع لم يستطع الخروج منه, ليحققوا بذلك ماخططوا له وهم ينسحبون من أبواب العاصمة أسمرا بكامل عدتهم وعتادهم صوب الساحل في العام 1978 إبان مرحلة الإنسحاب الإستراتيجي, اي جعل الساحل مقبرة للعدو

الأثيوبي الذي تم جره الى تلك المصيدة طواعية ،متسبباً بحماقاته المتكررة في إزهاق ارواح الآلاف من جنوده المغرر بهم في جبال ووديان الساحل . ان الدعم الخارجي الكبير الذي تلقاه الدرق من السوفييت وأعوانهم قد شجعه على التماذي في تسيير الحملات العسكرية الواحدة تلو الاخرى باتجاه إرتريا دون الإلتفات الى الخسائر الكبيرة التي كان يتعرض لها ,وبما أن لكل بداية نهاية ,فقد إقتنع الدرق عقب فشل الحملة الثامنة من عدم جدوى إتباع هذا النهج ,ليفضل الدفاع عن المواقع التي كان يتواجد بها بدلاً من تسيير الحملات العسكرية حتى لا تسقط الإراضى المتبقية تحت سيطرته في أيدي قوات الجيش الشعبي التي إشتد عودها وزادت قدراتها الهجومية والتي إنتقلت بعد عام من إنجلاء الحملة الثامنة في الرابع من ديسمبر من العام 1986م من مرحلة الدفاع الى مرحلة الهجوم . فقد بدأ الجيش الشعبي في الثامن من ديسمبر من العام 1987م بتنفيذ هجوم على قوات العدو التي كانت ترابط في جبهة نقفة ليمهد بذلك للهجمات الاخرى الموضوعه في استراتيجيه العسكرية للمرحلة القادمة ,وبسبب ذلك الهجوم القوي للثوار تقهقر جيش العدو الذي ظل مرابطاً حول مدينة نقفة لمدة 10 اعوام الى الخلف لتجد دفاعات دندن وقلوب لاول مرة مساحة من الهدوء الذي فقدته طوال عقد من الزمان .

ان هذا الهجوم شكل نقطة تحول كبيرة في مسيرة الثورة الإرترية ونقلها من مرحلة الدفاع الى مرحلة الهجوم لتتوالي بعده انتصارات الجيش الشعبي الواحدة تلو الأخرى ,وتتهاوي دفاعات الجيش الأثيوبي الذي هبطت معنوياته بشكل كبير وهو يشاهد تقدم الجيش الشعبي في كل الجبهات ,ففي الفترة من السابع عشر وحتى التاسع عشر من شهر مارس من العام 1988م دمر الثوار قوات العدو التي كانت ترابط في جبهة ناود إز لتخرج مدينة افعبت من قبضة العدو ,تلاها بعد ذلك في مطلع شهر فبراير من العام 1990م عملية فنقل البطولية التي إقتلع فيها الجيش الشعبي قوات العدو الأثيوبي من عروس البحر الأحمر "مدينة مصوع " لتعم اصداء ذلك الإنتصار التاريخي كافة ارجاء العالم وتتناقله وسائل الاعلام الدولية بنوع من الدهشة والإستغراب ,كيف لا وقد تحول المارد الإرتري من تائر مطارد في الإحراش الى مقاتل شرس يرهب العدو ويجبره على التقهقر مجرراً أذبال الهزيمة والعار .

عقب عملية فنقل البطولية شرع الجيش الشعبي في تنفيذ هجمات مركزة على العدو الأثيوبي للتعجيل بتحقيق النصر النهائي بدلاً عن عمليات الكر والفر التي كان يعتمد عليها في بدايات الكفاح المسلح كإستراتيجية تتناسب مع متطلبات تلك المرحلة الحرجة من تاريخ الثورة الإرترية، ومع اشتداد وتيرة الهجوم وجد الجيش الأثيوبي نفسه محاصراً من كل حذب وصوب يتخطف افراده الموت في أي لحظة على أيدي أبطال الجيش الشعبي الذين صمموا على ضرورة حسم المعركة وإنهاءها بأسرع مايمكن، وهكذا بدأت المدن والبلدات تسقط الواحدة تلو الأخرى في ايدي الثوار تحت ضرباتهم الموجعة وهجماتهم المركزة، لتبلغ الإنتصارات ذروتها بدخول الجيش الشعبي الى العاصمة أسمرا في الرابع والعشرين من مايو 1991م، وهكذا عادت إرتريا بعد عقود من الضياع في غياهب المستعمر الى أحضان بنيتها الذين طالما تحملوا المشاق من أجلها وصمدوا امام التحديات الكبيرة التي كانت تهدف الى محو بلادهم من الوجود وإذابتها في الإمبراطورية الأثيوبية .

لقد حصل الشعب الإرتري على حريته بعد ان قدم آلاف الشهداء من إبنائه البررة، وتصدى لكل الممارسات البربرية للعدو والتي كان يعتقد بأنها ستمكنه من إركاع الشعب الإرتري وإستسلامه للأمر الواقع، ولكن جاءت الاحداث على عكس توقعاته وامانيه، فلا الحرائق التي أضرمها في القري والبلدات ولا المذابح التي أرتكبها ضد الأبرياء ولا حتى السجون التي عذب فيها الشرفاء استطاعت ان تفت من عضد وعزيمة هذا الشعب المغوار، حيث دفعته كل تلك الاعمال الجائرة الى الإلتفاف حول ثورته والوقوف معها بصلابة حتى تحرير كامل التراب الإرتري غير أبه بالصعاب، لتصبح جرائم العدو جزءاً من التاريخ الذي تتداوله الاجيال جيلاً بعد آخر، يذكرها ببشاعة وظلم المستعمر الأثيوبي ويدفعها لإستقاء الدروس والعبر من تلك التجربة القاسية والحفاظ على إرتريا وعدم التفريط في سيادتها بأي حال من الاحوال .

ان هذا الشعب الذي نال إستقلاله بعد كفاح مسلح ومرير امتد لاكثر من ثلاثة عقود، لم يستكن عقب التحرير بل شمر سواعده مجدداً لتنفيذ أمانة الشهداء والعمل بقوة من اجل بناء الوطن، وبالفعل إنطلقت قوافل التنمية في كافة الارحاء لترميم ماهدمه العدو من مرافق ومؤسسات وتشبيد المزيد منها حتى ينعم المواطنين بثمار الحرية التي ناضلوا من أجلها، وكننتاج لتلك الجهود هاهي البلاد تزخر الآن بالعديد من المرافق الخدمية التي ساهمت في تحسين حياة المواطنين والإرتقاء بمستوياتهم المعيشية نحو الافضل مقارنة بعهد الإستعمار، وعندما إعتدت زمرة

الوياني على السيادة الإرترية هرع الجميع لإفشال الغزو والتصدي له ,في ملحمة رائعة اكد فيها الإرتريون بانهم لايزالون يسيرون على درب أجدادهم وآباءهم المناضلين واضعين أمن الوطن وسلامته في حدقات العيون ,وان صمودهم في مسيرة البناء والتعمير والدفاع عن السيادة الوطنية سيكون بنفس القدر من الصمود الذي أبدوه إبان الكفاح من اجل الحرية والإستقلال.